مجلة معهد الإمام الشاطبي

# آداب الدعاء

# من خلال دعوات الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم

د. زينب بنت عبد المحسن بن حمد العبَّاد البدر

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة

• من مواليد عام ١٣٩٥هـ بالمدينة النبوية.

• نالت شهادة الماجستير من قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية للبنات التابعة لوكالة الرئاسة لكليات البنات بالرياض عام ١٤٢٤هـ بأطروحتها:" **تفسير ضياء القلوب لأبي الفتح سُليم بن أيوب الرازي (ت:٤٤٧هـ): دراسة وتحقيق من أول سورة يوسف إلى نهاية سورة النحل** "، كما نالت شهادة الدكتوراه من قسم الدراسات القرآنية كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة عام ١٤٣٠هـ بأطروحتها: " **مرويات الحافظ محمد بن يوسف الفريابي (ت:٢١٢هـ) في التفسير جمعًا ودراسة مع مقارنتها بتفسير الحافظ عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت:٢١١هـ)**".

• من أعمالها المنشورة: "**التفسير القرآني لسورة الفاتحة**"، "**دراسة تحليلية لأعظم آية في القرآن**"، "**منهج عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت:٢١١هـ) في تفسيره**"، "**التوبة في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية**".

• البريد الشبكي: z.albdor@gmail.com

## الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

أمرنا الله ﷻ بالاقتداء بالأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وجعل التأسِّي بهم واجبًا على الأمة؛ لذا كان لزامًا على العبد المسلم أن يتأمل في هدي هؤلاء الأنبياء، ويكرِّر النظر في قصصهم، ويتأمَّل في الدعوات المأثورة عنهم ويتدبرها، ليتسنَّى له الاقتداء بأدبهم وطريقتهم في دعاء الله ﷻ. وفي هذا البحث جمعت الباحثة الآيات القرآنية التي تناولت دعوات الأنبياء في القرآن الكريم، ثم تناولت هذه الآيات بالدراسة والتفسير، لتستنبط منها هديهم -عليهم السلام- في دعاء الله ﷻ وأدبهم الرفيع في سؤاله سبحانه، ورتَّبت هذه الآداب في عناصر موضوعية، وسبقت ذلك ببيان تعريف الدعاء وإطلاقاته في القرآن الكريم، وبيان مكانة دعوات الأنبياء، وثمرة ذكرها في القرآن الكريم. والله ولي العون والتوفيق.


**الكلمات المفتاحية**: الدعاء -آداب الدعاء -دعاء الأنبياء -الدعاء في القرآن.

## المقدمة

الحمد لله الذي جعل الدُّعاء عبادةً وقُربى، وأمر عباده المؤمنين بالالتجاء إليه؛ لينالوا عنده منزلة وزلفى. فقال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر:٦٠] وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ٨] أحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأصلِّي وأسلِّم على رسل الله أعلام الهدى، ومصابيح الدُّجى، الذين خلَّصوا أقوامَهم من دياجير الضلال والردى، وأخذوا بأيديهم إلى سبل الفلاح والتُّقى، عليهم صلوات الله وسلامه، وعلى مَنْ بنهجهم اقتدى، ولطريقتهم اقتفى.

أمَّا بعد.

فإن الدُّعاء نعمة كبرى، ومنَّة عظمى، امتنَّ الله بها على عباده، حيث أمرهم به، ووعدهم بالإجابة، بل توعَّد من استكبر عن دعائه بعظيم سخطه وعقابه. فالدُّعاء شأنه عظيم، وفضله عميم؛ ولهذا كان له في الإسلام منزلة عالية، ومكانة سامية، افتتح الله كتابه بالدُّعاء، وختمه أيضًا بالدُّعاء، وما استُجلِبت النِّعم بمثله، ولا استُدفِعت النِّقم بمثله.

ولما كان الدُّعاء بهذه المنزلة الرفيعة في الدين؛ كان جديرًا بالعبد المسلم أن يحرص كلَّ الحرص على أن يكون بالدعاء معتنيًا، وبآدابه ملتزمًا، وبهدي خير الورى فيه مقتديًا، ليكون ذلك أرجى لقبول دعائه وإجابة مسألته. قال ابن القيم: «وتأمل أحوال الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- مع الله، وخطابهم وسؤالهم، تجدها كلها مشحونة بالأدب، قائمة به »[(١)].

وقد عُني سلف الأمة بتوجيه الناس إلى أدعية القرآن والسنة؛ لما فيها من كمال،

(١) يُنظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٥٨).

وسلامة من الخَلل، وعصمة من الزَّلل، ولما فيها من المطالب العالية، والمقاصد العظيمة، فمن دعا بها فهو على جادَّةٍ سويَّة، وطريق مرضية، ومن تأدَّب بآداب الأنبياء في الدُّعاء كان هذا أدعى لإجابة سؤله، وتحقُّق أملِهِ.

### ۞ أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع والكتابة فيه أهميته، حيث:

١- إن حاجة العبد للدُّعاء مستمرَّة متجدِّدة؛ فهو عبادة يتقرَّب بها إلى الله ﷻ، وبه يقضي حاجاته؛ فيسأل ما يحبه ويرضيه، ويدفع ما يكرهه وما يُؤذيه.

٢- إن الأصل في العبادة الاتباع، وخير من يُتَّبع هديه في باب الدُّعاء وغيره هم أنبياء الله ورسله الذين قال عنهم الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٣- وجود بعض المخالفات التي يقع فيها كثير من الناس في باب الدُّعاء، والتي منشؤها نقص الوعي بآداب الدُّعاء، وعدم سلوك المنهج الصحيح فيه.

لهذه الأسباب -وغيرها- عقدتُ العزم -مستعينة بالله تعالى- على جمع الآيات المتضمَّنة دعوات الأنبياء من ثنايا سور القرآن الكريم، واستنباط ما اشتملت عليه من آداب الدُّعاء، ونظمها في مباحث.

### ۞ الدراسات السابقة:

١- بحث بعنوان: "عِبَرٌ من دعاء الأنبياء والصَّالحين في قَصَصِ القرآن"، أعده رمضان رمضان متولي، تناول فيه تعريف الدُّعاء، وبيان فضله، ثم عرض فيه نماذج من دعاء الملائكة والأنبياء والصَّالحين في القرآن والسنة، كما استطرد طويلًا في الحديث عن فضل الحمد والتسبيح والذكر، واستعراض آياته في القرآن الكريم، ولم تقتصر دراسته على تناول الموضوع من خلال القرآن الكريم، بل ذكر نماذج لأدعية مأثورة عن النبيِّ ﷺ، وعن السَّلف، بل وذكر أدعية لبعض المعاصرين.

٢- بحث بعنوان: "أدب الأنبياء مع الله في الدُّعاء من خلال القصَّة القرآنيَّة"، أعده حسن ناجع العجمي، وهو بحث مختصر سلط فيه الضوء على سلوك الأنبياء- عليهم صلوات الله وسلامه- جانب الأدب مع الله- تعالى- في دعواتهم، وتناول فيه نماذجَ لدعوات خمسة من الأنبياء- عليهم السلام- بالدراسة والتحليل.

هذا ما تمكَّنت من الاطلاع عليه من أبحاث حول الموضوع، وأحسب أنه لا زال بحاجة إلى كتابة علميَّة تُلقي الضوء على أدب الأنبياء- عليهم السلام- في الدُّعاء من خلال التأمُّل والتدبُّر في دعواتهم- عليهم صلوات الله وسلامه- الواردة في القرآن الكريم، وآمل أن أكون قد وُفِّقتُ في تحقيق ذلك في هذا البحث.

**۞ هدف البحث:**

استنباط آداب الدُّعاء من خلال تحليل الآيات التي وردت فيها دعوات الأنبياء- عليهم صلوات الله وسلامه- في القرآن الكريم.

**۞ خطة البحث:**

يتكوَّن البحث من مقدّمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة:

المقدّمة: وتشمل:

- أسباب اختيار الموضوع.

الدراسات السابقة.

هدف البحث.

خطة البحث.

منهج البحث.

تمهيد في تعريف الدُّعاء في اللغة والاصطلاح، وإطلاقاته في القرآن الكريم، وبيان مكانة دعوات الأنبياء، وثمرة ذكرها في القرآن.

آداب الدُّعاء المستنبَطة من دعوات الأنبياء- عليهم السلام- في القرآن الكريم،

وتقع في إحدى وثلاثين مطلبًا مقسمة على خمسة مباحث على النحو التالي:

**المبحث الأول: آداب تسبق الدعاء، وفيه أربعة مطالب:**

- المطلب الأول: الاعتراف بالذنب والتوبة منه بين يدي الدُّعاء
- المطلب الثاني: الجمع بين الاستغفار والتوبة
- المطلب الثالث: التبرُّؤ من الحول والقوة، مع صدق الاعتماد على الله، والتوكل عليه
- المطلب الرابع: أن يقدِّم بين يدي دعائه عملًا صالحًا

**المبحث الثاني: آداب في استفتاح الدعاء، وفيه سبعة مطالب:**

- المطلب الأول: تقديم الحمد لله والثناء عليه قبل سؤال الحاجة
- المطلب الثاني: التوسُّل إلى الله ﷻ بربوبيته
- المطلب الثالث: التوسُّل إلى الله ﷻ بألوهيته
- المطلب الرابع: التوسُّل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا
- المطلب الخامس: التوسُّل إلى الله ﷻ بنعمه وأفضاله
- المطلب السادس: التوسُّل إلى الله ﷻ بالأعمال الصَّالحة
- المطلب السابع: التوسُّل إلى الله ﷻ بإظهار ضعف الداعي وفقره وحاجته

**المبحث الثالث: الآداب المتعلقة فيمن يشملهم الداعي بدعائه، وفيه أربعة مطالب:**

- المطلب الأول: أن يقدم الدُّعاء لنفسه على الدُّعاء لغيره
- المطلب الثاني: الاستغفار للوالدين والدُّعاء لهما
- المطلب الثالث: الاستغفار للمؤمنين
- المطلب الرابع: الدُّعاء للذريَّة

**المبحث الرابع: الآداب المتعلقة بذات المسألة، وفيه سبعة مطالب:**

- المطلب الأول: التنويع في صيغة سؤال الحاجة بين صيغة الطلب وصيغة الخبر
- المطلب الثاني: السؤال على قَدْرِ الحاجة
- المطلب الثالث: أن يقرن سؤاله حاجته ببيان علة سؤالها
- المطلب الرابع: الإخبار عن الحال، وسؤال الحاجة دون تسخط
- المطلب الخامس: سلوك جانب الأدب مع الله، بعدم نسبة الشرِّ إليه سبحانه
- المطلب السادس: الجمع في الدُّعاء بين مصالح الدين والدنيا
- المطلب السابع: الدعاء بما يوافق الشرع

**المبحث الخامس: الآداب المتعلقة بحال الداعي، وفيه تسعة مطالب:**

- المطلب الأول: الخضوع والتذلُّل، وإظهار الضعف والمسكنة
- المطلب الثاني: حضور القلب عند الدُّعاء
- المطلب الثالث: التلفُّظ به باللسان، وعدم الاقتصار على الدُّعاء بالقلب
- المطلب الرابع: خفض الصوت عند الدُّعاء والإسرار به
- المطلب الخامس: رفع البصر إلى السماء
- المطلب السادس: رفع اليدين
- المطلب السابع: الإلحاح بالدُّعاء، وتكرار سؤاله، وعدم السآمة والملل
- المطلب الثامن: عدم استعجال الإجابة
- المطلب التاسع: تحرِّي الأوقات الفاضلة، وتحرِّي أحوال الإجابة

**الخاتمة:** وتشمل أهم نتائج البحث.

**۞ منهج البحث:**

المنهج المتبع في هذا البحث كالتالي:

١. التمهيد لهذا الموضوع بذكر معنى الدُّعاء في اللغة والاصطلاح وإطلاقاته في القرآن الكريم، وبيان مكانة دعوات الأنبياء، وثمرة ذكرها في القرآن.

٢. جمع الآيات القرآنيَّة التي وردت فيها دعوات الأنبياء في القرآن الكريم.

٣. دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير.

٤. استنباط العناصر الأساسيَّة للموضوع، من خلال الآيات الكريمة، ثم تقسيمه إلى مباحث، واختيار عناوين لها من المادة القرآنيَّة.

٥. تصنيف الآيات التي تمَّ جمعها وفق عناصر الموضوع.

٦. عرض الموضوع عن طريق بيان معنى الآيات المستقى من كتب التفسير وغريب القرآن..

٧. عزو الآيات المستشهَد بها إلى سُوَرِها، مع بيان رقم الآية واسم السورة.

٨. تخريج الأحاديث المستشهَد بها، والحُكم على ما لم يَرِدْ في الصحيحين منها بذكر أقوال النقاد المعتبَرين.

٩. عزو الآثار والأقوال التفسيريَّة إلى قائليها، مع ذكر رقم الجزء والصفحة.

١٠. الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في هذا البحث.

١١. تلخيص نتائج البحث في خاتمته.

١٢. تذييل البحث بفهارس علميَّة، وهي:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

وأخيرًا، أسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا أن يتقبَّل دعائي، ويسدِّد عملي في هذا البحث وفق ما يرضيه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## تمهيد

في تعريف الدُّعاء، وإطلاقاته في القرآن الكريم، وبيان مكانة دعوات الأنبياء، وثمرة ذكرها في القرآن

### أولًا: تعريف الدُّعاء:

### الدُّعاء في اللغة:

واحد الأدعية، وأصله (دعاو)؛ لأنه من دعوت؛ إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف هُمزت. وهو مصدر، يقال: دعا الرجلَ دعاءً أي: ناداه، والاسم دعوة. أقاموا المصدر مقام الاسم. وقد يُوضَع المصدر موضع الاسم؛ كقولهم: هو رجل عدل، وهذا ثوب نسج اليمن[(١)].

### أمَّا الدُّعاء في الاصطلاح:

فقد عرَّفه بعضهم بأنه: الرغبة إلى الله -تعالى- فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال[(٢)].

وعُرِّف بأنه: استدعاء العبد ربَّه عز وجل العناية، واستمداده إيَّاه المعونة[(٣)].

وقيل في تعريفه: طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضرُّه أو دفعه[(٤)].

وعُرِّف أيضًا بأنه: لسان الافتقار بشرح الاضطرار[(٥)].

---

(١) يُنظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/ ٧٦)، مادة (دعا)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٣٧) مادة (دعا)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/ ٢٥٧) مادة (دعا)، والقاموس المحيط للفيروزابادي (١/ ١٢٨٣) مادة (دعا).

(٢) يُنظر: المصباح المنير للفيومي (١/ ١٩٤) مادة (دعو)، والقاموس المحيط (١/ ١٢٨٢) مادة (دعا)، وتاج العروس للزبيدي (٣٨/ ٤٦) مادة (دعو).

(٣) يُنظر: شأن الدُّعاء للخطابي (٤).

(٤) يُنظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٢).

(٥) يُنظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١٦٦).

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

وجه المناسبة بين المعنى اللغوي للدعاء (النداء) والمعنى الاصطلاحي (سؤال الخير) هو أن الإنسان يصدِّر سؤاله بقوله: يا الله يا ربّ يا رحمن؛ فلذلك سُمِيَ دعاءً[(١)].

## ثانيًا: إطلاقات الدُّعاء في القرآن الكريم:

أطلق الدُّعاء في القرآن الكريم على معانٍ عدَّةٍ:

١- فجاء بمعنى العبادة: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

٢- وجاء بمعنى الاستعانة والاستغاثة: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣].

٣- وجاء بمعنى السؤال والطلب: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [يونس: ٦٠].

٤- وجاء بمعنى القول: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠].

٥- وجاء بمعنى النداء: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٦- وجاء بمعنى التسمية: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

٧- وجاء بمعنى الاستفهام: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨].

٨- وجاء بمعنى العذاب: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: ١٦-١٧][(٢)].

## ثالثًا: بيان مكانة دعوات الأنبياء، وثمرة ذكرها في القرآن:

أمرنا الله ﷻ بالاقتداء بالأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وجعل التأسي بهم واجبًا على الأمة؛ قال تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]

---

(١) يُنظر: لسان العرب (١٤/ ٢٥٧) مادة (دعا).

(٢) يُنظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (٢١٩)، والوجوه والنظائر للدامغاني (٢١٣)، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢٩٥)، والكليات للكفوي (٤٤٧).

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]؛ لذا كان متأكدًا على العبد المسلِم أن يتأمَّل في هدي هؤلاء الأنبياء، ويكرِّر النظر في قصصهم، ويتأمَّل في الدعوات المأثورة عنهم ويتدبَّرها، ليتسنى له الاقتداء بأدبهم وطريقتهم في دعاء الله عز وجل، والتأسِّي بهديهم فيه.

قال ابن كثير في تفسيره: «قال تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الأنبياء المذكورين مع مَنْ أضيف إليهم من الآباء والذريَّة والإخوان ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أي اقتدِ واتبع. وإذا كان هذا أمرًا للرسول ﷺ، فأمَّتُه تبعٌ له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به» [(١)].

ولنا في نبينا الكريم -عليه أفضل الصلاة والتسليم- قدوة حسنة في اقتدائه بالأنبياء قبله، ولزومه منهجهم؛ امتثالًا لأمر الله عز وجل، فقد أخرج البخاري عن العوام بن حوشب[(٢)]، قال: سألت مجاهدًا، عن سجدة في ص، فقال: سألت ابن عباس: من أين سجدتَ؟ فقال: أو ما تقرأ: «﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤] ... ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ فكان داود ممن أُمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام، فسجدها رسول الله ﷺ »[(٣)].

وهؤلاء الأنبياء-عليهم صلوات الله وسلامه- هم صفوة الخلق﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وهم أعلم الخلق بما يجب للخالق من التعظيم والتوقير والإجلال؛ ولهذا جاءت دعواتهم مشتملةً على جملة

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٩).

(٢) هو العوام بن حوشب بن يزيد الربعي الواسطي، حدَّث عن: إبراهيم النخعي، ومجاهد، وعمرو بن مرة، وسلمة بن كهيل وجماعة، وحدَّث عنه: ابنه سلمة، وشعبة، وهشيم، وآخرون، توفي سنة ١٤٨هـ.
يُنظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٥٤)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٨٤٦) رقم [٤٨٠٧].

من المعاني العظيمة التي يجب أن يستحضرها العبد بين يدي سؤاله ربَّه، وجملة من الآداب الرفيعة التي ينبغي له مراعاتها عند الدُّعاء، ليكون أقربَ إلى القبول، وأحرى بالإجابة.

## المبحث الأول

## آداب تسبق الدعاء

### المطلب الأول: الاعتراف بالذنب والتوبة منه بين يدي الدُّعاء:

من آداب الدُّعاء التي يمكن استنباطها من دعوات الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه: الاعتراف بالذنب، والإقرار بالخطيئة، والتوبة منها، وإظهار الندم على الوقوع فيها، واستحضار ذلك بين يدي الدُّعاء، قال ابن تيمية: «والله تعالى قص علينا قصص توبة الأنبياء لنقتدي بهم في المتاب» (١).

قال تعالى في قصة آدم عندما أكل هو وزوجه من الشجرة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، فأقرَّا بخطيئتهما وبادرا إلى التوبة منها، واعترفا بذلك قبل سؤال الله المغفرة، وهذا الأدب في دعاء الله ﷻ هو من تعليم الله لآدم وزوجه، وتوفيقه لهما، حيث لقَّنه ﷻ هذه الكلمات كما في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] وقد فسَّر جمعٌ من مفسري الصحابة والتابعين ﷺ الكلمات الواردة في الآية بهذا الدُّعاء(٢).

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيميَّة إلى هذا الأدب في دعوات الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، فقال: «الدُّعاء الذي فيه اعتراف العبد بظلم نفسه من

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٨٠).

(٢) فسَّر الكلمات بذلك: عبد الله بن عباس، وعبيد بن عمير، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء الخراساني، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.
يُنظر: تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٦٨) رقم [٤٤] و[٤٥]، وتفسير الطبري (١/ ٥٤٣-٥٤٥) رقم [٧٧٨] و[٧٧٩] و[٧٨٧] و[٧٩١] و[٧٩٢] وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩١) رقم [٤١١٠] و(٥/ ١٤٥٤) رقم [٨٣١١].

الأدعية التي يدعو بها الأنبياء، وهم أفضل الخلق، قال الله -تعالى- عن آدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، وقد دعا غيرهم بنحو هذا الدُّعاء، كقول الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٢-٨٣]، وقال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [ هود: ٤٧]، وقال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] »[(١)].

## المطلب الثاني: الجمع بين الاستغفار والتوبة:

ومن أدب الأنبياء في دعائهم اللهَ ﷻ الجمع بين الاستغفار والتوبة؛ تأمل دعاء موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦] فقد جاء جامعًا بين الاستغفار من الذنب والندم عليه، والتوبة منه. وفي دعاء الأبوين آدم وحواء الذي تلقياه من الله ﷻ أيضًا جمعٌ بين الاستغفار والتوبة؛ فقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ اعتراف وإقرار بالذنب وتوبة صادقة منه مقرونة بالندم، وقولهما: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ متضمن سؤال الله المغفرة والتجاوز عن الذنب، ومثله دعاء نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، ودعوة يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ

(١) يُنظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٤).

سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. قال ابن تيميَّة: «وقوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ اعتراف بالذنب، وهو يتضمَّن طلب المغفرة؛ فإن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر. إمَّا بوصف حاله، وإمَّا بوصف حال المسؤول، وإمَّا بوصف الحالين. كقول نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ فهذا ليس صيغة طلب، وإنما هو إخبار عن الله أنه إن لم يغفر له ويرحمه خسر. ولكن هذا الخبر يتضمَّن سؤال المغفرة وكذلك قول آدم ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ هو من هذا الباب» [(١)].

**المطلب الثالث: التبرُّؤ من الحول والقوة، مع صدق الاعتماد على الله، والتوكل عليه:**

ومن آداب الدُّعاء المستفادة من دعوات الأنبياء أيضًا صدقُ الاعتماد على الله تعالى، والتوكل عليه، والتبرُّؤ من الحول والقوة، فهذا نبيُّ الله شعيب عليه السلام لما أيس من اهتداء قومه وصلاحهم، دعا عليهم: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾[الأعراف:٨٩]، أي: أحاط علمه -سبحانه- بكلِّ المعلومات، فلا يخرج عنه منها شيء، عليه اعتمدنا في أن يثبِّتنا على الإيمان، ويحول بيننا وبين الكفر وأهله، ويتمَّ علينا نعمته، ويعصمنا من نقمته. ثم بعد التفويض إليه ﷻ وصدق الالتجاء إليه في التثبيت على الإيمان، وكفاية أمر العدو، دعا ربه ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ أي: احكم بيننا وبين قومنا بالحقِّ، وأنت خير الحاكمين. [(٢)]

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٤).

(٢) يُنظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٥٧)، وتفسير ابن سعدي (٢٩٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١١).

ومن جملة ما أمرنا بالاقتداء به من شأن إبراهيم عليه السلام الالتجاء إلى الله- سبحانه- مع صدق الاعتماد عليه، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤-٥].

قال ابن سعدي: «ولكُم أسوة حسنة في إبراهيم ومَن معه، حين دعوا الله، وتوكلوا عليه، وأنابوا إليه، واعترفوا بالعجز والتقصير، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك. ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك، وجميع ما يقرب إليك، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون، ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفى إليك. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تسلِّطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا، ويمنعونا ممَّا يقدرون عليه من أمور الإيمان، ويفتنون أيضًا بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق، وأنَّا على الباطل، فازدادوا كفرًا وطغيانًا» (١).

ومثله دعاء نبيِّ الله موسى عليه السلام ومن آمن معه ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥-٨٦] .

وقول شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

**المطلب الرابع: أن يقدِّم بين يدي دعائه عملًا صالحًا:**

من الهدي المستفاد من دعوات الأنبياء -عليهم السلام- أن يقدِّم العبد بين يدي دعائه عملًا صالحًا، كأن يتصدَّق، أو يحسن إلى مسكين، أو يصوم، أو غير ذلك من

(١) يُنظر: تفسير ابن سعدي (٨٥٤).

الأعمال الصَّالحة؛ ليكون هذا العمل وسيلة لاستجابة دعائه، وحصول مطلوبه.

فنبيُّ الله يونس عليه السلام لم يزل يُرفَع له كلَّ يوم عمل صالح إلى أن أذن الله له بالفرج واستجاب دعوته: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [هود: ٨٨].

ونبيُّ الله أيوب عليه السلام لبث في البلاء زمنًا طويلًا وهو صابر محتسب، غير جَزِعٍ ولا متسخِّطٍ، إلى أن فرّج الله كربه، وأذهب عنه البلاء. ولهذا امتدح الله صنيعه هذا وجعل إجابة دعائه مرتبة عليه؛ مما يوحي أن صبره سبب في إجابة دعوته فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

ونبي الله موسى عليه السلام سقى لابنتي شعيب ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وقد أثنى الله على جملة من الأنبياء وامتدحهم في سورة الأنبياء بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] فكان من أسباب استجابة دعواتهم مسارعتهم في الخيرات، ومبادرتهم إلى القربات، وفعل الطاعات؛ وذلك من شدة رغبتهم في الخير، ومعرفتهم بفوائده، وحسن عوائده.

## المبحث الثاني

## آداب في استفتاح الدعاء

### المطلب الأول: تقديم الحمد لله والثناء عليه قبل سؤال الحاجة:

ومن أدب الأنبياء في دعائهم ابتداءُ الدُّعاء بحمد الله، والثناء عليه، وتمجيده ﷻ قبل سؤال الحاجة؛ قال- سبحانه- حكاية عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩-٤٠]، وهذا الأدب في الدُّعاء بتقديم الحمد والثناء على سؤال الحاجة هو من توفيق الله لأنبيائه، وتوجيهه لهم، وتعليمه إيَّاهم، فقد أمر الله نبيه نوحًا عليه السلام بالبدء بحمد الله أولًا على النجاة من كفار قومه وأذيتهم، وتخليصه منهم بإهلاكهم بالطوفان، ثم التوجُّه إلى دعاء الله ﷻ بتيسير المنزل المبارك له ولمن نجَّى معه من المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨-٢٩].

قال ابن القيم: «فالدُّعاء الذي تَقدَّمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدُّعاء المجرَّد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله، ومسكنته، وافتقاره، واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسّل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرَّض- بل صرَّح- بشدَّة حاجته، وضرورته، وفقره، ومسكنته، فهذا المقتضي منه، وأوصاف المسؤول مقتضي من الله، فاجتمع المقتضي من السائل، والمقتضي من المسؤول في الدُّعاء، وكان أبلغ، وألطف موقعًا، وأتم معرفة وعبوديَّة. وأنت ترى في المشاهَد -ولله المثل الأعلى- أن الرجل إذا توسَّل إلى من يريد معروفة، بكرمه وجوده وبرِّه، وذكر حاجته هو، وفقره ومسكنته؛ كان

أعطف لقلب المسؤول، وأقرب لقضاء حاجته. فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا ينكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه، ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا وكذا. فإذا عرفت هذا فتأمَّل قول موسى ﷺ في دعائه ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وقول ذي النُّون في دعائه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقول أبينا آدم ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] »[(١)].

## المطلب الثاني: التوسُّل إلى الله ﷻ بربوبيته:

ومن أدب الأنبياء في الدُّعاء أيضًا التوسُّل إلى الله ﷻ بربوبيته، فإذا تأمَّلت غالب الدُّعاء الوارد عنهم-عليهم السلام- تجده مُصَدَّرًا بنداء الربِّ سبحانه، والتوسُّل إليه بربوبيته. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وقد استحب الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- أن يكون الدُّعاء مصدرًا بنداء الربِّ سبحانه؛ معللًا ذلك بأنه هدي الأنبياء. حيث سُئل عن الدَّاعي يقول: يا سيدي،

(١) يُنظر: الوابل الصيب لابن القيم (٩٠).

فقال: « يعجبني دعاء الأنبياء: ربَّنا »[(١)]. ونقل عنه شيخ الإسلام ابن تيميَّة أنه قال: « أكره للرجل أن يقول في دعائه: يا سيدي يا سيدي، يا حنَّان يا حنَّان، ولكن يدعو بما دعت به الأنبياء؛ ربَّنا ربَّنا »[(٢)].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن التوسُّل إلى الله بربوبيته من آداب الدُّعاء التي يتوسَّل بها الرسل؛ لأن إجابة الدُّعاء من مقتضيات الربوبيَّة؛ إذ إنه فعل؛ وكل ما يتعلَّق بأفعال الربِّ فهو من مقتضيات الربوبيَّة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ حين ذكر الرجل يُطيل السفر يمدُّ يديه إلى السماء: «**يقول: يا رب! يا رب!**»[(٣)]؛ ولو تأملت أكثر أدعية القرآن لوجدتها مصدَّرةً بـ (الرب)؛ لأن إجابة الدُّعاء من مقتضيات الربوبيَّة »[(٤)].

## المطلب الثالث: التوسُّل إلى الله ﷻ بألوهيته:

ومن هدي الأنبياء في الدُّعاء أيضًا التوسُّل إلى الله ﷻ بألوهيته، فنبيُّ الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما نجَّاه الله من بطن الحوت لـمَّا توسَّل إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بألوهيته قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤] وتسبيح يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا جاء موضحًا في سورة الأنبياء في قوله ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال ابن سعدي: «فأقرَّ لله-تعالى- بكمال الألوهيَّة، ونزهه عن كلِّ نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته»[(٥)]. وقال-رَحِمَهُ اللَّهُ- أيضًا في الفوائد

(١) يُنظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٣٢٠).

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (٤٠٩)، رقم [٢٣٤٦].

(٤) يُنظر: تفسير ابن عثيمين (٣/ ٣٠٢).

(٥) يُنظر: تفسير ابن سعدي (٥٢٩).

المستنبطة من قصة يونس عليه السلام: «وفيها أن العبد إذا كانت له مقدِّمة خاصَّة مع ربِّه، وقد تعرَّف إلى ربِّهِ في حال الرخاء، أن الله يشكر له ذلك، ويعرفه في حال الشدة بكشفها بالكُليَّة أو تخفيفها؛ ولهذا قال في قصة يونس ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وفيها ما قاله النبيُّ ﷺ: «**دعوة ذي النُّون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه:** ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[(١)]، وفيها أن الإيمان ينجي من الأهوال والشدائد، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] أي: إذا وقعوا فيها لإيمانهم»[(٢)].

**المطلب الرابع: التوسُّل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا:**

لما كان الأنبياء-عليهم صلوات الله وسلامه- أعرف الخلق بما يجب للخالق ﷻ من التقديس والتعظيم، والتوقير والإجلال؛ جاءت أدعيتهم مشتملةً على التوسُّل إلى الله بذكر أوصاف كماله ونعوت جلاله، ومتضمنة ما يجب له ﷻ على خلقه من التعظيم والتقديس والإجلال، مع التعبُّد له ﷻ بها، والاعتراف بكمال اتِّصافه بصفات الكمال، والثناء عليه بها، والتوسُّل إليه -سبحانه- بها، وتخيُّر الأسماء الحسنى المناسبة للدعاء.

فهذا نبيُّ الله إبراهيم يبتهل إلى الله بالدُّعاء متوسِّلًا بجملة من أسماء الله ﷻ وصفاته: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨]، قال ابن عثيمين في تفسيره عند ذكر الفوائد المستنبطة من الآية: «منها مشروعيَّة التوسُّل إلى الله ﷻ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث سعد بن أبي وقاص، كتاب تواريخ المتقدِّمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نبي الله يونس بن متى عليه السلام وهو الذي سمَّاه الله ذا النون، (٢/ ٦٣٧) رقم [٤١٢١]، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) يُنظر: تيسير اللطيف المنان (١/ ٢٣٨).

بأسمائه وصفاته؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾تعليل للطلب السابق؛ فهو وسيلة يتوصَّل بها الداعي إلى حصول مطلوبه، ومنها أن التوسُّل بأسماء الله يكون باسم مطابق لما دعا به؛ لقوله تعالى:﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾»(١).

وكذلك نبيُّ الله موسى عليه السلام يدعو قائلًا: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، فيتوسّل عليه السلام بكون الله ﷻ هو أرحم الراحمين، بأن يغفر له ولأخيه ما قد يكون فرط منهما من تقصير في جانب الدعوة التي كلَّفا بها، وأن يدخلهما في رحمته التي وسِعَتْ كل شيء، ولا يؤاخذهما بما اقترف قومهما وافتروه على الله ﷻ.

ونبيُّ الله شعيب عليه السلام بعد أن أيس من استجابة قومه دعا عليهم: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] متوسلًا إلى الله ﷻ بأنه خير الحاكمين أن يحكم بينه وبين قومه ويفصل بينهم وينصره عليهم.

**المطلب الخامس: التوسُّل إلى الله ﷻ بنعمه وأفضاله:**

ومن أدب الأنبياء في الدُّعاء كذلك التوسُّل إلى الله بتعداد نعمه وأفضاله، فهذا نبيُّ الله يوسف عليه السلام يدعو ربه معترفًا بفضل الله ونعمته عليه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، قال ابن كثير: «هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه ﷻ، لما تمت النعمة عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منَّ الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه ﷻ كما أتمَّ نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفَّاه مسلمًا حين يتوفَّاه، وأن يُلحقه بالصَّالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه

(١) يُنظر: تفسير ابن عثيمين (٢/ ٦٥).

وعليهم أجمعين »[١].

ونبيُّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام يُثني على الله عز وجل، ويعترف بنعمته عليه في استجابته لدعائه، ويسأله المزيد قائلًا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيَۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩-٤٠].

قال ابن عاشور: «لما دعا الله لأهمِّ ما يهمه وهو إقامة التوحيد، وكان يرجو إجابة دعوته، وأن ذلك ليس بعجبٍ في أمر الله، خطر بباله نعمة الله عليه بما كان يسأله، وهو أنْ وَهبَ له ولدين في إبَّان الكبر، وحين اليأس من الولادة، فناجى الله، فحمده على ذلك، وأثنى عليه بأنه سميع الدُّعاء، تمهيدًا لإجابة دعوته هذه، كما أجاب دعوته سلفًا »[٢].

ونبيُّ الله زكريا عليه السلام لما سأل الله الولد توسَّل إلى الله بإنعامه عليه باستجابته لدعائه، فقال: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤] قال ابن سعدي: «أي: لم تكن يا ربِّ تردني خائبًا ولا محرومًا من الإجابة، بل لم تزل بي حفيًا ولدعائي مجيبًا، ولم تزل ألطافك تتوالى علي، وإحسانك واصلًا إلي، وهذا توسُّل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقًا، أن يُتَمِّمَ إحسانه لاحقًا »[٣].

## المطلب السادس: التوسُّل إلى الله عز وجل بالأعمال الصَّالحة:

ومن آداب الدُّعاء المستفادة من دعوات الأنبياء -عليهم السلام- التوسُّل إلى الله-تعالى- بالأعمال الصَّالحة؛ ومن ذلك توسُّلهم بالاعتراف بالذنب، والإقرار

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٤).
(٢) يُنظر: تفسير ابن عاشور (١٣/ ٢٤٣).
(٣) يُنظر: تفسير ابن سعدي (٤٨٩).

بالخطيئة، والتوبة منها، وإظهار الندم على الوقوع فيها؛ ثم الابتهال إلى الله بالدُّعاء وسؤال الحاجة. وقد تقدَّمت أمثلة ذلك من دعائهم-عليهم صلوات الله وسلامه- في المبحث الأول.(١)

ومن أمثلة ذلك أيضًا دعاء الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩]، حيث يتوسَّلان إلى الله ﷻ بامتثالهما أمره، واستجابتهما لطلبه وبناء بيته المحرَّم، أن يجعلهما مستسلمين له ﷻ في كلِّ أمورهما، ويجعل من ذريتهما أمة مسلمة مستسلمة له، وأن يعلمهما المناسك....

وكذلك دعاء خليل الله إبراهيم عليه السلام متوسِّلًا إلى الله ﷻ بامتثاله لأمره وطاعته: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي: نفذتُ أمرك يا ربِّ حينما أمرتني بأن أُسكن أمَّ ولدي هاجر وابني إسماعيل في هذا الوادي غير ذي الزرع، ولولا أمرك إيَّاي ما فعلتُ، إن الطاعة المطلقة، والتوكُّل على الله من إبراهيم عليه السلام؛ عمل صالح عظيم توسَّل به عليه السلام إلى الله -تعالى- ثم دعا ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ أي بسبب ما أطعتك، وتوكلت عليك، اللهمَّ فاجعل أفئدة المسلمين تهوي إليهم وإلى ذراريهم إلى يوم القيامة، وارزقهم من الثمرات ليكون ذلك عونًا لهم على طاعتك. ولما كان توسُّل إبراهيم إلى الله -تعالى- توسُّلًا

(١) يُنظر: ص (٢٤) من هذا البحث.

شرعيًّا يحبه الله ويرضاه استجاب دعاءه، كما قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].(١)

## المطلب السابع: التوسُّل إلى الله ﷻ بإظهار ضعف الدَّاعي وفقره وحاجته:

ومن أدب الأنبياء في دعائهم أيضًا التوسُّل إلى الله ﷻ بإظهار الضعف والعجز والحاجة ومن ذلك دعاء زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، قال ابن سعدي: «إن الله-تعالى- اجتبى واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربِّه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداءً خفيًّا، ليكون أكمل وأفضل وأتمَّ إخلاصًا، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده ونذيره، فتوسل إلى الله- تعالى- بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدلُّ على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته»(٢).

وكليم الله موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين ورأى ابنتي شعيب عليه السلام تذودان غنمهما عن حياض الناس، لعجزهما عن مزاحمة الرجال، رقَّ لهما ورحمهما، وسقى لهما غير طالب منهما الأجرة، وذهب مستريحًا إلى الظلال بعد التعب، ودعا في تلك الحالة، مسترزقًا ربه ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] أي:

(١) يُنظر: التوصل إلى حقيقة التوسُّل للرفاعي (٩١).

(٢) يُنظر: تفسير ابن سعدي (٤٨٩).

مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. قال ابن سعدي: «إن الله كما يحب من الداعي أن يتوسَّل إليه بأسمائه وصفاته، ونعمه العامة والخاصة، فإنه يحب منه أن يتوسَّل إليه بضعفه وعجزه وفقره، وعدم قدرته على تحصيل مصالحه، ودفع الأضرار عن نفسه كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ لما في ذلك من إظهار التضرع والمسكنة، والافتقار لله الذي هو حقيقة كل عبد »[(١)].

وأيوب عليه السلام لما طال عليه البلاء دعا ربه متوسِّلًا إليه ببيان ضعفه وعجزه وعظيم حاجته لرحمة ربه ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣] قال ابن سعدي: « توسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضرُّ منه كلَّ مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له »[(٢)].

(١) يُنظر: تيسير اللطيف المنان (١/ ٢٢٨).

(٢) يُنظر: تفسير ابن سعدي (٥٢٨).

## المبحث الثالث

## الآداب المتعلقة بمن يشملهم الداعي في دعائه

### المطلب الأول: أن يقدم الدُّعاء لنفسه على الدُّعاء لغيره:

من آداب الدُّعاء المستفادة من دعوات الأنبياء- عليهم السلام- البداءة بالدُّعاء للنفس قبل الدُّعاء للغير. فهذا نبيُّ الله نوح عليه السلام بدأ بالدُّعاء لنفسه ثم لوالديه ثم للمؤمنين والمؤمنات ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ﴾ [نوح: ٢٨]. وكذلك خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]. قال ابن جزيء: « يؤخذ من هذا أن سنة الدُّعاء أن يقدم الإنسان الدُّعاء لنفسه على الدُّعاء لغيره »[(١)].

### المطلب الثاني: الاستغفار للوالدين والدُّعاء لهما:

ومن هدي الأنبياء أيضًا الاستغفار للوالدين، وتخصيصهما بالدُّعاء لهما؛ فهذا نبيُّ الله نوح عليه السلام يدعو لنفسه ولوالديه بالمغفرة: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ﴾ [نوح: ٢٨]، وكذلك إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، ويلاحظ أنهما- عليهما السلام- خصَّا والديهما بالاستغفار قبل الاستغفار لعموم المؤمنين، وهذا من تمام البرِّ بالوالدين، وأداء بعض حقِّهما على الولد.

أمَّا استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه -رغم موته على الكفر- وتخصيصه بطلب المغفرة له، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]؛ فلكونه وعده بذلك ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [الشعراء : ٨٦]، فلما تبيَّن له أنه عدو لله تبرَّأ منه، ولم يستغفر له بعد ذلك، قال تعالى:

(١) يُنظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيء الكلبي (٢/ ٤١٦).

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

## المطلب الثالث: الاستغفار للمؤمنين:

ومن هدي الأنبياء في الدُّعاء الاستغفار للمؤمنين، كما مرَّ في المبحث السابق في دعاء نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وفي دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقد أمر الله به نبيَّنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[محمد: ١٩]، ولنا في صفوة الخلق أسوة حسنة قال ابن تيميَّة: « فقد ذكر استغفار الرسل للمؤمنين، أمرًا بذلك، وإخبارًا عنهم بذلك » [(١)]. وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يعمُّ الأحياء منهم والأموات؛ ولهذا يستحبُّ مثل هذا الدُّعاء؛ اقتداءً بنوح عليه السلام، وبما جاء في الآثار، والأدعية المشهورة المشروعة »[(٢)]. فحري بالمؤمن أن يحرص على هذا الأدب في دعائه، فيستغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ اقتداءً بأفضل الخلق، واستجابة لأمر الله عز وجل، لا سيَّما وقد جاء الندب إلى ذلك والتحضيض عليه في السنة النبويَّة، كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كان له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**» [(٣)].

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٠٧).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٢٣٤) رقم [٢١٥٥]، وجَّود إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٠) رقم [١٧٥٩٨]، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٠٤٢) رقم [٦٠٢٦]، ويؤيده ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل»، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، باب=

قال ابن سعدي: «وقوله:﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ أي: اطلب من ربك المغفرة لذنبك بأن تفعل الأسباب التي تحصل بها المغفرة؛ من الدُّعاء بالمغفرة، والتوبة النَّصوح، وفعل الحسنات الماحية، وترك الذنوب، والعفو عن الخلق، والإحسان إليهم، ومن ذلك الاستغفار لهم؛ فلهذا قال: ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ فهذا من ثمرات الإيمان؛ بسبب إيمانهم كان لهم حقٌّ على كلِّ مسلم أن يدعو لهم بالمغفرة»[(١)].

## المطلب الرابع: الدُّعاء للذريَّة:

وكذلك من هدي الأنبياء في الدُّعاء الدُّعاء للذريَّة فهذا الخليل عليه السلام يشمل ذريته في دعائه: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٢٨]، ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

قال ابن كثير: «ينبغي لكلِّ داعٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته »[(٢)].

وقال ابن عثيمين: «ينبغي للإنسان أن يشمل ذريته في الدُّعاء؛ لأن الذريَّة الصَّالحة من آثار الإنسان الصَّالحة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾، وقال إبراهيم ﷺ في آية أخرى:﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فالذريَّة صلاحها لها شأن كبير بالنسبة للإنسان »[(٣)].

=فضل الدُّعاء للمؤمنين بظهر الغيب، (١١٨٥) رقم [٦٩٢٧].

(١) يُنظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لابن سعدي (٢٣).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٣).

(٣) يُنظر: تفسير ابن عثيمين (٢/ ٦٤).

## المبحث الرابع

## الآداب المتعلقة بذات المسألة

### المطلب الأول: التنويع في صيغة سؤال الحاجة بين صيغة الطلب وصيغة الخبر:

ويُستفاد من دعوات الأنبياء أيضًا أن ينوِّع السائل في صيغة سؤاله، بين صيغة الطلب المباشر وصيغة الخبر المتضمن للسؤال، فيختار في كل مقام ما يناسبه، مقتديًا بأفضل الخلق عليهم صلوات الله وسلامه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «فإن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر، إمَّا بوصف حاله، وإمَّا بوصف حال المسؤول وإمَّا بوصف الحالين؛ كقول نوح ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٢]، فهذا ليس صيغة طلب، وإنما هو إخبار عن الله أنه إن لم يغفر له ويرحمه خسر؛ ولكن هذا الخبر يتضمَّن سؤال المغفرة. وكذلك قول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣] هو من هذا الباب، ومن ذلك قول موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤] فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير؛ وهو متضمن سؤال الله إنزال الخير إليه... ومن هذا الباب قولُ أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فوصف نفسه، ووصف ربه بوصف يتضمَّن سؤال رحمته بكشف ضُرِّهِ، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال. وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدُّعاء، فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه: أنا جائع أنا مريض حسن أدب في السؤال. وإن كان في قوله أطعمني وداوني، ونحو ذلك ممَّا هو بصيغة الطلب طلب جازم من المسؤول فذاك فيه إظهار حاله، وإخباره على وجه الذُّلِّ والافتقار المتضمَّن سؤال الحال، وهذا فيه الرغبة التامَّة، والسؤال المحض بصيغة الطلب؛

وهذه الصيغة (صيغة الطلب والاستدعاء) إذا كانت لمن يحتاج إليه الطالب، أو ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك، فإنَّها تقال على وجه الأمر؛ إمَّا لما في ذلك من حاجة الطالب، وإمَّا لما فيه من نفع المطلوب، فأمَّا إذا كانت من الفقير من كلِّ وجه، للغني من كلِّ وجه، فإنها سؤال محض بتذلُّل وافتقار، وإظهار الحال، ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال، وهو أبلغُ من جهة العلم والبيان، وذلك أظهر من جهة القصد والإرادة؛ فلهذا كان غالب الدُّعاء من القسم الثاني؛ لأن الطالب السائل يتصوَّر مقصوده ومراده فيطلبه ويسأله، فهو سؤال بالمطابقة والقصد الأول، وتصريح به باللفظ، وإن لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسؤول، فإن تضمَّن وصف حالهما كان أكمل من النوعين؛ فإنه يتضمَّن الخبر والعلم المقتضي للسؤال والإجابة، ويتضمَّن القصد والطلب الذي هو نفس السؤال، فيتضمَّن السؤال والمقتضي له والإجابة... وكثير من الأدعية يتضمَّن بعض ذلك، كقول موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فهذا طلب ووصف للمولى بما يقتضي الإجابة. وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص: ١٦] فيه وصف حال النفس والطلب. وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤] فيه الوصف المتضمَّن للسؤال بالحال، فهذه أنواع لكلِّ نوع منها خاصة »[(١)].

وقال ابن القيِّم: «وتأمَّلْ أحوال الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم- مع الله، وخطابهم وسؤالهم، تجدْها كلَّها مشحونة بالأدب، قائمة به، من هذا قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤] ولم يقل: أطعمني. وقول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ولم يقل: رب قدَّرت علي وقضيت علي. وقول أيوب عليه السلام:

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٤).

﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل: فعافني واشفني »[(١)].

## المطلب الثاني: السؤال على قَدْرِ الحاجة:

ومن الهدي المستفاد من دعوات الأنبياء-عليهم صلوات الله وسلامه- الاقتصار عند السؤال على قَدْرِ الحاجة، فهذا نبيُّ الله موسى عليه السلام لما أمره الله بدعوة فرعون إلى التوحيد وعبادة الله، سأل الله أن يحلَّ عقدةً من لسانه بالقَدْرِ الذي يُفهَم به كلامه، ويفقهه المخاطب. فقال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]. قال ابن كثير: «﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ وذلك لما كان أصابه من اللثغ، حين عرض عليه التمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه،[(٢)] وما سأل أن يزول ذلك بالكليَّة، بل بحيث يزول العي، ويحصل لهم فهم ما يريد منه، وهو قدر الحاجة. ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقيَّة، قال الله-تعالى- إخبارًا عن فرعون أنه قال: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [طه: ٢٤-٢٨] أي: يفصح بالكلام»[(٣)]. وقال ابن سعدي: «ومن كمال

(١) يُنظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٥٨).

(٢) ذكر المفسرون قصة ذلك في رواية الغالب أنها مستفادة من خبر بني إسرائيل، والله أعلم بصحتها، أخرج الطبري بسنده عن السدي: "لما تحرك الغلام، يعني موسى، أخذته أمه آسيَّة صبيًّا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: علي بالذباحين، قالت آسيَّة: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ إنما هو صبي لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حليًّا من الياقوت، وأضع له جمرًا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبي، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستًا من جمر، فجاء جبرائيل ﷺ، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه".
يُنظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٠٠).

(٣) يُنظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٢).

أدب موسى مع ربِّه أنه لم يسأل زوال اللثغة كلها، بل سأل إزالة ما يحصل به المقصود »[(١)].

**المطلب الثالث: أن يقرن سؤاله حاجته ببيان عِلَّة سؤالها:**

ومن أدب الأنبياء في دعائهم أيضًا ذكر السبب الداعي إلى سؤال الحاجة مقترنًا بالدُّعاء، فهذا نبيُّ الله نوح عليه السلام لما دعا على قومه بالهلاك ذكر عِلَّة ذلك فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]، قال البقاعي: «ولما كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لا يقولون ولا يفعلون إلا ما فيه مصلحة الدين، علل دعاءه بقوله وأكده؛ إظهارًا لجزمه باعتقاد ما أنزل عليه من مضمون قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] وإن كان ذلك خارجًا عن العادة: ﴿إِنَّكَ﴾ أي يا رب ﴿إِن تَذَرْهُمْ﴾ أي تتركهم على أي حالة كانت في إبقائهم سالمين على وجه الأرض، على ما هم عليه من الكفر والضلال والإضلال، ولو كانت حالة دنيَّة ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ أي الذين آمنوا بي والذين يُولَدون على الفطرة السليمة »[(٢)].

وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يدعو ربَّه فيقول في دعائه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فقرن دعاءه ببيان عِلَّتِه أي ما أسكنتهم هذا الوادي إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرَّم، ويعمروه بذكرك وعبادتك وحدك. فاجعل أفئدة من الناس تهفو وتسرع إليهم فيأنسوا، ويتعارفوا فيتآلفوا، ويعودوا على بعضهم بالمنافع، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون نعمة إقامتهم عند بيتك المحرم بالصلاة فيه، على كمال

(١) يُنظر: تيسير اللطيف المنان (١/ ٢٣٥).

(٢) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٠/ ٤٥٨).

الإخلاص والتوحيد، مع فراغ القلب[١].

وكذلك نبيُّ الله موسى عليه السلام يذكر سبب سؤاله الله أن يحلَّ عقدة لسانه فيقول: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨] ويبين سبب سؤاله الله أن يؤيده بأخيه هارون فيقول: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٤]،أي معينًا يعاونني ويؤازرني، ويساعدني على مَن أرسلت إليهم، قوِّني به وشدَّ به ظهري، ثم ذكر عِلَّة ذلك، فقال: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ علم عليه السلام أن مدار العبادات كلها والدين على ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات مما يدل على أهمية العوين على ذكر الله وبالغ أثره في الثبات على الحق[٢].

وكذلك نبيُّ الله زكريا عليه السلام لما سأل الله الولد قرن سؤاله بذكر السبب الداعي إليه وهو كبره وحرصه على من يقوم بواجب الدعوة بعده فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم: ٤-٦].

## المطلب الرابع: الإخبار عن الحال، وسؤال الحاجة دون تسخُّط:

ومن آداب الدُّعاء المستفادة من دعوات الأنبياء-عليهم السلام- أنهم أحيانا عند الدُّعاء يكتفون بالإخبار عن الحال وسؤال الحاجة دون تسخُّط أو تبرُّم؛ فهذا زكريا عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يرزقه الذريَّة الصَّالحة غير ضَجِرٍ ولا متسخِّط، مكتفيًا

(١) تفسير القاسمي (٦/ ٣١٩).

(٢) تفسير ابن سعدي (٥٠٤).

بالإخبار عن حاله قائلًا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٤-٦] ونبيُّ الله أيوب عليه السلام لما أصابه البلاء دعا ربه أن يفرج كربه، ويزيل عنه هذا البلاء ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [مريم: ٤-٦]، قاله مخبرًا عن حاله لا جزعًا ولا شكوى، بدليل قوله ﷻ في جوابه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]؛ فالإجابة تأتي عُقَيْب الدُّعاء لا الاشتكاء؛ ولأنه ﷻ امتدح صبره فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].(١)

## المطلب الخامس: سلوك جانب الأدب مع الله بعدم نسبة الشرِّ أو البلاء إليه سبحانه:

ومن هدي الأنبياء في الدُّعاء سلوك جانب الأدب مع الله، بإضافة الخير إليه، وإضافة الشرِّ إلى النفس والشيطان؛ فهذا خليل الرحمن في معرض دعائه وتضرُّعه لله ﷻ يسند المرض إلى نفسه فيقول: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧-٨٣] قال ابن كثير: «أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبًا، كما قال-تعالى- آمرًا للمصلي أن يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] فأسند الإنعام إلى الله

(١) يُنظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٢٥)، وأضواء البيان (٤/ ٢٣٨).

ﷻ، والغضب حذف فاعله أدبًا، وأسند الضلال إلى العبيد، وكما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن: ١٠] »[(١)].

وقال القاسمي: «وإنما نسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى، مع أنهما منه؛ لمراعاة حسن الأدب معه تعالى، بتخصيصه بنسبة الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه -تعالى- كما قال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، وكقول الجن في آية: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] »[(٢)].

وكذلك نبيُّ الله أيوب عليه السلام لما سأل ربَّه أن يرفع عنه البلاء لم يسنده إلى الله ﷻ بل أسنده إلى الشيطان فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

قال القرطبي: «الشرُّ لا ينسب إليه ذكرًا، وإن كان موجودًا منه خَلقًا، أدبًا أدبنا به، وتحميدًا علمَنَاه. وكان من ذكر محمد ﷺ لربِّه به قول من جملته: «**والخير في يديك والشر ليس إليك**»[(٣)] على هذا المعنى. ومنه قول إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وقال الفتى للكليم: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣] »[(٤)].

## المطلب السادس: الجمع في الدُّعاء بين مصالح الدين والدنيا:

ومن هدي الأنبياء في الدُّعاء الجمع بين دعاء الله بمصالح الدين والدنيا فالخليل عليه السلام لما دعا ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٦).

(٢) يُنظر: تفسير القاسمي (٧/ ٤٦٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه في الليل، (٣٠٩) رقم [١٨١٢].

(٤) يُنظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٠).

ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] جمع في دعائه بين مصالح الدين والدنيا. قال الرازي: «هذا الدُّعاء جامع للدين والدنيا. أمَّا الدين فلأنه يدخل فيه ميل الناس إلى الذهاب إلى تلك البلدة بسبب النُّسك والطاعة لله تعالى. وأمَّا الدنيا: فلأنه يدخل فيه ميل الناس إلى نقل المعاشات إليهم بسبب التجارات، فلأجل هذا الميل يتسع عيشهم، ويكثر طعامهم ولباسهم»[(١)]. وقال ابن سعدي: «الجمع بين الدُّعاء لله بمصالح الدنيا والدين من سبيل أنبياء الله، وكذلك السعي في تحصيلهما؛ الدين هو الأصل والمقصود الذي خلق له الخلق، والدنيا وسيلة ومعونة عليه؛ لدعاء الخليل لأهل البيت الحرام بالأمرين، وتعليله الدُّعاء بالأمور الدنيويَّة أنه وسيلة إلى الشكر فقال: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]».[(٢)]

## المطلب السابع: الدعاء بما يوافق الشرع:

ومن هدي الأنبياء في الدعاء أيضًا الدعاء بما يوافق الشرع، والاستغفار من الدعاء بما يخالفه إن وقع منهم خطأً، كما في دعاء نوح عليه السلام ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾، فلما تبين له بطلان ما اعتقده من أنه من أهله في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ استغفر و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾. قال الشوكاني: «وهو وإن كان نهيًا عامًا بحيث يشمل كل سؤال لا يعلم صاحبه أن حصول مطلوبه منه صواب، فهو يدخل تحته سؤاله هذا دخولًا أوليًا، وفيه عدم جواز الدعاء بما لا يعلم الإنسان مطابقته للشرع».[(٣)]

---

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب (١٩/ ١٠٥).

(٢) يُنظر: تيسير اللطيف المنان (١/ ٢١٣).

(٣) يُنظر: فتح القدير (٢/ ٥٧٠).

## المبحث الخامس

## الآداب المتعلقة بحال الداعي

### المطلب الأول: الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والمسكنة:

ومن أدب الأنبياء في دعواتهم أيضًا الخضوع والتذلُّل لله ﷻ وإظهار الضعف والمسكنة فهذا كليم الله موسى لما أمره الله بدعوة فرعون إلى الإيمان بالله وطاعته دعا ربه خاضعًا متذللًا: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: ٢٥-٣٥]، قال ابن سعدي: «تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا، وافتقارنا إليك في كل الأمور، وأنت أبصر بنا من أنفسنا، وأرحم فمنَّ علينا بما سألناك، وأجب لنا فيما دعوناك، فقال الله ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٣٦] أي: أعطيت جميع ما طلبت فسنشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك، يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، ﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [القصص:٣٥]»[(١)].

ونبيُّ الله زكريًا عليه السلام يدعو ربه وهو في غاية الخضوع والضعف والمسكنة لله ﷻ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤]، قال القاسمي: «استفيد من هذه الآيات آداب الدُّعاء وما يستحبّ فيه؛ فمنها استحباب الخضوع في الدُّعاء، وإظهار الذل والمسكنة والضعف لقوله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾»[(٢)]. وقال الشنقيطي: «وهذا الذي

(١) يُنظر: تفسير ابن سعدي: (٥٠٤).

(٢) يُنظر: تفسير القاسمي (٧/ ٨٥).

ذكره هنا من إظهار الضعف يدلُّ على أنه ينبغي للداعي إظهار الضعف والخشية والخشوع في دعائه»[(١)].

**المطلب الثاني: حضور القلب عند الدُّعاء، والجمع فيه بين الرغبة والرهبة:**

ومن آداب الدُّعاء المستفادة من دعوات الأنبياء أيضًا الدُّعاء بحضور قلب وخشوع وخضوع وإخبات لله ﷻ، وقد امتدحهم الله بذلك وأثنى عليهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال ابن سعدي: «ولما ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلًّا على انفراده، أثنى عليهم عمومًا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوَّذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضارِّ الدارين، وهم راغبون راهبون، لا غافلون لاهون ولا مدلون، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي: خاضعين متذلِّلين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم»[(٢)].

**المطلب الثالث: التلفُّظ به باللسان وعدم الاقتصار على الدُّعاء بالقلب:**

ومن هدي الأنبياء في الدُّعاء أيضًا ما أمر الله به نبيه محمدًا ﷺ من التلفُّظ بالدُّعاء وعدم الاقتصار على الدُّعاء بالقلب في قوله ﷻ ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

---

(١) يُنظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٦١).

(٢) يُنظر: تفسير ابن سعدي (٥٣٠).

قال القاسمي: «أن يكون باللسان لا بالقلب وحده، وهو مستفاد من قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ لأن معناه: ومتكلمًا كلامًا دون الجهر، فيكون صفة لمعمول حال محذوفة معطوفًا على ﴿تَضَرُّعًا﴾، أو هو معطوف على ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ أي اذكره ذكرًا في نفسِك، وذكرًا بلسانك دون الجهر »(١).

وقال ابن عطيَّة: «﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ مخاطبة للنبيِّ ﷺ تعمُّ جميع أمته وهو أمر من الله ﷻ بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده، والجمهور على أن الذكر لا يكون في النفس ولا يراعى إلا بحركة اللسان، ويدلُّ على ذلك من هذه الآية قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فهذه مرتبة السرِّ والمخافتة باللفظ »(٢).

## المطلب الرابع: خفض الصوت عند الدُّعاء والإسرار به:

ومن هدي الأنبياء في الدُّعاء أيضًا خفض الصوت والإسرار بالدُّعاء، وقد امتدح الله نبيه زكريا عليه السلام بذلك فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] ولا شكَّ أن هذا الأدب في الدُّعاء محبوب عند الله ﷻ؛ ولذلك أثنى الله على نبيه زكريا بذلك، وأشاد بهذا الأدب منه عليه السلام.

وقد بيَّن العلماء عِلَّة تفضيل إخفاء الدُّعاء على إظهاره والجهر به؛ فقال الرازي- في فوائد قصة زكريا عليه السلام-: «تعليم آداب الدُّعاء وهي من جهات. أحدها: قوله: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ وهو يدلُّ على أن أفضل الدُّعاء ما هذا حاله، ويؤكده قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة، وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار، وعمدة الدُّعاء الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها، والاعتماد على فضل الله- تعالى- وإحسانه »(٣).

---

(١) يُنظر: تفسير القاسمي (٥/ ٢٤٨).

(٢) يُنظر: تفسير ابن عطيَّة (٣/ ٤٩٤).

(٣) يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٥١٩).

وقال الشنقيطي: «وثناؤه-جلَّ وعلا- عليه بكون دعائه خفيًّا، يدل على أن إخفاء الدُّعاء أفضل من إظهاره وإعلانه، وإنما كان الإخفاء أفضل من الإظهار؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء»(١).

واستطرد شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله- طويلًا عند هذه الآية في ذكر فوائد إخفاء الدُّعاء، فكان ممَّا قاله: «ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدُّعاء، وما يسمع لهم صوت أي ما كانت إلا همسًا بينهم وبين ربهم عز وجل؛ وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥] وأنه ذكر عبدًا صالحًا ورضي بفعله فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم: ٣] وفي إخفاء الدُّعاء فوائد عديدة:

**أحدها:** أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله- تعالى- يسمع دعاءه الخفي.

**ثانيها:** أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ لأن الملوك لا تُرفع عندهم الأصوات، ومن رفع صوته عندهم مقتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع الدُّعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

**ثالثها:** أنه أبلغُ في التضرُّع والخشوع الذي هو روح الدُّعاء ولبِّه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه، وذلَّت جوارحه، وخشع صوته حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلَّته ومسكنته وكسره وضراعته إلى أن ينكسر لسانه، فلا يطاوعه بالنطق، وقلبه يسأل طالبًا مبتهلًا، ولسانه لشدة ذلِّه وضراعته ومسكنته ساكت، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدُّعاء أصلًا.

**رابعها:** أنه أبلغ في الإخلاص.

**خامسها:** أنه أبلغُ في جمعيَّة القلب على الله- تعالى- في الدُّعاء؛ فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته، فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

(١) يُنظر: أضواء البيان (٣/ ٣٥٩).

**سادسها:** وهو من النكت البديعة جدًّا أنه دالٌّ على قرب صاحبه من الله؛ وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره، يسأله مسألة أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى- سبحانه- على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

**سابعها:** أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يملُّ، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنه قد يكلُّ لسانه، وتضعف بعض قواه.

**ثامنها:** أن إخفاء الدُّعاء أبعدُ له من القواطع والمشوشات، فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحدٌ، فلا يحصل هناك تشويش ولا غيره.

**تاسعها:** إن أعظم النعم الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه، والتبتل إليه، ولكلِّ نعمة حاسد، وليس للمحسود أسلمُ من إخفاء نعمته عن الحاسد، وأن لا يقصد إظهارها له، وهذه فائدة شريفة نافعة »[(١)].

## المطلب الخامس: رفع البصر إلى السماء:

ومن الهدي المستَفاد من دعوات الأنبياء- عليهم صلوات الله وسلامه- رفع البصر إلى السماء عند الدُّعاء.[(٢)] قال- تعالى- مخاطبًا نبيَّه محمد ﷺ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أول ما نسخ من القرآن القبلة. وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥)، ونقلها تلميذه ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٦).

(٢) تنبيه: ورد في الصحيح النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدُّعاء في الصلاة إلى السماء، أو لتخطفن أبصارهم**». يُنظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة (١٨٣) رقم [٩٦٧]. أما رفع البصر إلى السماء عند الدُّعاء في غير الصلاة فأكثر العلماء على جوازه. يُنظر: تصحيح الدُّعاء لبكر أبو زيد (١٢٤).

الله ﷻ أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود. فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرًا، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] فأنزل الله ﷻ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وقال ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] »[(١)].

## المطلب السادس: رفع اليدين:

ومن الهدي المستفاد من دعوات الأنبياء-عليهم صلوات الله وسلامه- رفع اليدين عند الدُّعاء. فلما ذكر الله ﷻ استجابته دعاء جملة من الأنبياء في سورة الأنبياء عَلِّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال ابن عطيَّة: «قال بعض الناس: الرغَب أن تُرفَع بطون الأكفِّ نحو السماء، والرهَب أن ترفع ظهورَها؛ وتلخيص هذا أن عادة كلِّ داع من البشر أن يستعين بيديه، فالرغب من حيث هو طلب يحسُن معه أن يوجه باطن الرَّاح نحو المطلوب منه؛ إذ هي موضع الإعطاء، وبها يُتملَك، والرهَب من حيث هو دفع مضرة يحسُن معه طرح ذلك، والإشارة إلى إذهابه وتوقيه بنفض اليد ونحوه »[(٢)].

## المطلب السابع: الإلحاح على الله بالدُّعاء، وتكرار سؤاله، وعدم السآمة والملل:

ومن هدي الأنبياء في الدُّعاء أيضًا الإلحاح على الله-تعالى- بالدُّعاء، وتكرار سؤاله سبحانه؛ لأن الإلحاح في الدُّعاء والمبالغة فيه وتكراره محبوب عند الله مندوب إليه، ومن أمثلة ذلك دعاء نبيِّ الله موسى عليه السلام لـمَّا أمره الله بدعوة

(١) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده من طريق علي بن أبي طلحة (٢/ ٥٢٧) رقم [١٨٣٣].
(٢) يُنظر: المحرر الوجيز لابن عطيَّة (٤/ ٩٨).

فرعون إلى توحيد الله وطاعته، فقال مبتهلًا إلى الله بالدُّعاء ملحًا عليه بالإجابة: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: ٢٥-٣٥]، ومنه أيضًا ابتهال خليل الله إبراهيم عليه السلام وتضرعه إلى الله بالدُّعاء: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١].

قال ابن القيِّم: «وهذا كثير في الأدعية المأثورة؛ فإن الدُّعاء عبوديَّة لله تعالى، وافتقار إليه، وتذلل بين يديه، فكلما كثَّره العبد، وطوله، وأعاده، وأبداه، ونوَّع جمله، كان ذلك أبلغ في عبوديته، وإظهار فقره وتذلله وحاجته، وكان ذلك أقرب له من ربه وأعظم لثوابه، وهذا بخلاف المخلوق فإنك كلما كثرت سؤاله، وكررت حوائجك إليه، أبرمته وثقلت عليه وهنت عليه، وكلما تركت سؤاله، كان أعظم عنده وأحب إليه، والله سبحانه وتعالى كلما سألته كنت أقرب إليه، وأحب إليه، وكلما ألححت عليه في الدُّعاء أحبك، ومن لم يسأله يغضب عليه.

فالله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيَّ آدم حين يسأل يغضب »[(١)].

(١) يُنظر: جلاء الأفهام لابن القيم (٢٩٩).

## المطلب الثامن: عدم استعجال الإجابة:

ومن الهدي المستفاد من دعوات الأنبياء أيضًا عدم استعجال الإجابة، فهذا نبيُّ الله يعقوب عليه السلام لما كاد إخوة يوسف أخاهم وأدَّعوا أنه أكله الذئب أعرض عنهم وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ولم يزل يدعو الله أن يَرُدَّ عليه ابنه، ويبكي حتى ذهب بصره، إلى أن أذن الله بزوال همه وتفريج كربه، وردَّ ابنه عليه، قال ابن سعدي في الفوائد المستنبطة من قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام: «ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، إذ قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف الذي لا يَقْدِرُ على فراقه ساعةً واحدة، ويحزنه أشد الحزن، فتم لهذه الفرقة مدة طويلة، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه، وابيضَّت عيناه من الحزن فهو كظيم، ثم ازداد به الأمر حين اتصل فراق الابن الثاني بالأول، وهو في ذلك صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، وقد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا ريب أنه وفَّى بما وعد به، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]؛ فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين، ولا ريب أن الله رفعه بهذه المحنة درجات عالية ومقامات سامية، لا تنال إلا بمثل هذه الأمور. ومنها: أن الفرج مع اشتداد الكرب، فإنه لما تراكمت الشدائد المتنوعة، وضاق العبد ذرعًا بحملها، فرَّجها فارج الهم، كاشف الغَمِّ، مجيب دعوة المضطرين، وهذه عوائده الجميلة، خصوصًا لأوليائه وأصفيائه؛ ليكون لذلك الوقع الأكبر، والمحلُّ الأعظم، وليجعل من المعرفة بالله والمحبة له ما يوازن ويرجح بما جرى على العبد بلا نسبة»[(١)].

(١) يُنظر: تيسير اللطيف المنان (١/ ٢٨٥).

وكذلك نبيُّ الله أيوب عليه السلام فقد لبث في البلاء ثماني عشرة سنة[١]، وبقي هذه المدة صابرًا محتسبًا، راضيًا بقضاء الله، غير جَزِعٍ ولا مستبطِئٍ للفرج، إلى أن كشف الله ضرَّهُ، وأذن بشفائه عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤١-٤٤] قال ابن سعدي: «﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ في هذا الكتاب ذي الذكر ﴿عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضرُّ، فصبر على ضرِّهِ، فلم يشتكِ لغير ربِّهِ، ولا لجأ إلا إليه، فـ ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾داعيًا، وإليه لا إلى غيره شاكيًا، فقال: رب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ أي: بأمر مشقٍّ متعبٍ معذِّبٍ، وكان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتدَّ به الأمر، وكذلك هلك أهله وماله. فقيل له: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضرُّ والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى»[٢].

## المطلب التاسع: تحري الأوقات الفاضلة، وتحري أحوال الإجابة:

ومن آداب الدُّعاء المستفادة من دعوات الأنبياء تحرِّي أوقات وأحوال الإجابة، فإن العبد إذا تحيَّن الأوقات الفاضلة التي يُستجاب فيها الدُّعاء، والأماكن التي خصَّها الشرع باستجابة الدُّعاء فيها، وكان على حال عبادة وتقرُّب إلى الله عز وجل كان ذلك أدعى لاستجابة دعائه، وحصول مطلوبه؛ فهذا نبيُّ الله زكريا عليه السلام يتضرَّع إلى الله عز وجل أن يرزقه الولد، وهو في محرابه يتقلَّب في نسكه وعبادته وصلاته، منتقيًا

(١) ثبت ذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدِّمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر أيوب بن أموص نبي الله المبتلى عليه السلام، (٢/ ٦٣٥) رقم [٤١١٥]، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) يُنظر: تفسير ابن سعدي (٧١٤).

خير أحوال الدُّعاء وأفضل مواطنه.

قال ابن كثير: «قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: خاطبته الملائكة شفاها خطابا أسمعته، وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته، وصلاته »[(١)].

ولما طلب إخوة يوسف عليه السلام من أبيهم يعقوب عليه السلام أن يستغفر لهم ما حصل منهم من الذنب ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٧]. آخَّر الاستغفارَ لوقت فاضل يُستجاب فيه الدُّعاء وهو وقت السحر، وقيل من ليلة الجمعة كما ورد في بعض الآثار[(٢)] فقال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]. قال القاسمي: «وفيها دلالة على إرجاء الاستغفار والدُّعاء لوقت يرى أنه أحضر فيه قلبًا من غيره، أو أنه أفضل وأقرب للإجابة. وقد روي أنه أخَّرَ الاستغفار إلى السحر. وتخصيص الأوقات الفاضلة بالاستغفار والدُّعاء معروف في السُّنَّة، ومنه شُرع الاستغفار في السَّحر، وعقب الصلوات، وقضاء الحج. وكان الدُّعاء في السجود، وعند الأذان، وبينه وبين الإقامة، والإفطار من الصيام، أقرب للإجابة ممَّا عداه» [(٣)].

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧).

(٢) يُنظر الآثار في تفسير الطبري (١٦/ ٢٦١) رقم [١٩٨٧٠] إلى رقم [١٩٨٧٦].

(٣) يُنظر: تفسير القاسمي (٦/ ٢١٩).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، والصلاة والسلام على خير البريات نبيِّنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد..

ففي خاتمة هذا البحث ألخِّص أهم نتائجه في الآتي:

- أهميَّة هذا الموضوع وعِظَم الحاجة إلى مدارسته في ضوء القرآن الكريم، للتأدُّب بآداب القرآن فيه، والتزام توجيهاته.
- الأصل في العبادة الاتباع، وخير من يُتَّبع هديه هم الأنبياء الذين قال عنهم الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].
- الدُّعاء في اللغة النداء، ووجه تسمية الدُّعاء بهذا الاسم أن الإنسان يُصَدِّرُ سؤاله بقوله: يا الله يا رب يا رحمن، فلذلك سُمِّيَ دعاءً.
- إن أعلم الخلق بما يجب للخالق من التوقير والتقديس والإجلال والتعظيم هم صفوة الخلق الأنبياء؛ ولذا وجهَنَا ربُّنا ﷻ إلى الاقتداء بهم، والسير على نهجهم.
- بالتأمُّل في دعوات الأنبياء وتدبُّرها ومدارستُهَا يستنبط المتدبِّر جملة من الآداب الرفيعة التي يجدُر بالمرء التزامها عند الدُّعاء، ويمكن ترتيب هذه الآداب على النحو الآتي:

- **أولًا: يجدر بالعبد قبل التوجُّه إلى الله بالدُّعاء:**
  - أن يعترف بما فرط منه من ذنب، ويتوب إلى الله منه.
  - أن يصدُق التوكُّل على الله والاعتماد عليه، ويتبرأ من حول نفسه وقوته.
  - أن يقدِّم بين يدي دعائه عملًا صالحًا يتقرَّب به إلى الله ﷻ.

- **ثانيًا: ينبغي للعبد أن يستفتح دعاءه بـ:**
  - الحمد لله والثناء عليه.
  - الاستغفار للنفس وللوالدين وللمؤمنين.
- **ثالثًا: أن يتوسَّل إلى الله ﷻ:**
  - بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.
  - وبنعم الله وأفضاله.
  - وبما قدم من أعمال صالحة.
  - وبإظهار ضعفه وفقره وحاجته.
- **رابعًا: أن يراعي عند سؤال الحاجة:**
  - التنويع بين صيغة الطلب وصيغة الخبر.
  - أن يكون السؤال على قَدْرِ الحاجة.
  - أن يقرن سؤاله حاجته ببيان عِلَّة سؤالها.
  - أن يخبر عن حاله، ويسأل حاجته دون تسخُّط أو جزع.
  - سلوك جانب الأدب مع الله، بعدم نسبة الشر إليه سبحانه.
  - الجمع بين سؤال مصالح الدين والدنيا.
  - الدعاء بما يوافق الشرع.
  - أن يقدم الدُّعاء لنفسه على الدُّعاء لغيره.
  - أن يشمل ذريته في دعائه.
- **خامسًا: أن يكون حال الداعي عند الدُّعاء:**
  - خاضعًا متذلِّلًا لله ﷻ.
  - حاضر القلب.
  - التلفُّظ بالدُّعاء باللسان.

- خفض الصوت والإسرار به.
- رفع البصر إلى السماء.
- رفع اليدين.
- الإلحاح على الله بالدُّعاء.
- عدم استعجال الإجابة.
- أن يتحرَّى الأحوال والأوقات الفاضلة.

وأمَّا بشأن **التوصيات:**

فإن تأمُّل قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم وتدبُّرها ومدارستها تفتح للمسلم آفاقًا واسعة للأخذ بتربيتهم، والتأسِّي بهديهم، والاقتداء بمنهجهم في جوانب الحياة المختلفة، كيف وقد أمرنا الله ﷻ بذلك وحضّنا عليه في أكثر من موضع!

فما أحرى هذا الجانب بالعناية وما أجدره بالاهتمام؛ بأن توجه إليه عناية الباحثين لتسليط الضوء على جوانب مختلفة من حياة الأنبياء من خلال قصصهم في القرآن؛ كهديهم-عليهم السلام-مع زوجاتهم، وهديهم في تربية الأبناء، وأخلاقهم وآدابهم في الدعوة إلى الله ﷻ... إلى غير ذلك من الموضوعات التي يمكن استنباطها من مدارسة قصصهم في القرآن الكريم.

وفي الختام، أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به من كتبه، وقرأه، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# فهرس المصادر والمراجع


١- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٢- **بدائع الفوائد**، شمس الدين ابن قيم الجوزيَّة (ت٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤- **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسيَّة للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٥- **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزيء الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٦- **تصحيح الدُّعاء**، بكر عبد الله أبو زيد (ت١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧- **تفسير الفاتحة والبقرة**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربيَّة السعوديَّة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٨- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتَّوزيع، الطَّبعة الثَّانيَّة، ١٤٢٠هـ.

٩- **تفسير القرآن العظيم**، عبد الرحمن بن محمد الرازي المعروف بابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٠- **تفسير عبد الرزاق**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، دار الكتب العلميَّة، تحقيق د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

١١- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظاميَّة، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٢- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٣- **التوصُّل إلى حقيقة التوسُّل**، محمد نسيب الرفاعي (ت١٤١٣هـ)، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

١٤- **التوقيف على مهمَّات التعاريف**، عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٥- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي(ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٦- **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت١٣٧٦هـ)، وزارة الشئون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربيَّة السعوديَّة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧- **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٨- **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، الطبعة الثانيَّة، ١٣٨٤هـ.

١٩- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، لابن قيم الجوزيَّة (ت٧٥١هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانيَّة، ١٤٠٧هـ.

٢٠- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.

٢١- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، حقق بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢- **شأن الدُّعاء**، حمد بن محمد بن الخطاب المعروف بالخطابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربيَّة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٣- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة**، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢٤- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، ط.د.

٢٥- **الصَّحيح**، للإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٠٤هـ)، دار السَّلام، الرياض، الطَّبعة الثَّانيَّة، ١٤٢١هـ.

٢٦- **الصَّحيح**، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار السَّلام، الرياض، الطَّبعة الثَّانيَّة، ١٤١٩هـ.

٢٧- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٨- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزابادى (ت٨١٧هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢٩- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة**، أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٠- **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣١- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٣٢- **مجموع الفتاوى**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة (ت٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ.

٣٣- **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٤- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب ابن عطيَّة الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٥- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزيَّة (ت٧٥١هـ)، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٣٦- **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٧- **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة** (ت٧٢٨هـ)، جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (ت١٤٢١هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٨- **مسند الشاميين**، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٩- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلميَّة، بيروت.

٤٠- **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٤١- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٢- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط.د.

٤٣- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، ابن قيم الجوزيَّة (ت٧٥١هـ)، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

٤٤- **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**، الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٤٥- **الوجوه والنظائر**، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

## فهرس الموضوعات

**الملخص** ..... ١٣
**المقدمة** ..... ١٤
أسباب اختيار الموضوع ..... ١٥
الدراسات السابقة ..... ١٥
هدف البحث ..... ١٦
خطة البحث ..... ١٦
منهج البحث ..... ١٨
تمهيد ..... ٢٠
تعريف الدُّعاء في اللغة والاصطلاح ..... ٢٠
إطلاقاته في القرآن الكريم ..... ٢١
بيان مكانة دعوات الأنبياء وثمرة ذكرها في القرآن ..... ٢١
**المبحث الأول: آداب تسبق الدعاء**
**المطلب الأول**: الاعتراف بالذنب والتوبة منه بين يدي الدُّعاء ..... ٢٤
**المطلب الثاني**: الجمع بين الاستغفار والتوبة ..... ٢٥
**المطلب الثالث**: التبرُّؤ من الحول والقوة، مع صدق الاعتماد على الله، والتوكل عليه ..... ٢٦
**المطلب الرابع**: أن يقدِّم بين يدي دعائه عملًا صالحًا ..... ٢٧
**المبحث الثاني: آداب في استفتاح الدعاء**
**المطلب الأول**: تقديم الحمد لله والثناء عليه قبل سؤال الحاجة ..... ٢٩
**المطلب الثاني**: التوسُّل إلى الله ﷻ بربوبيته ..... ٣٠
**المطلب الثالث**: التوسُّل إلى الله ﷻ بألوهيته ..... ٣١
**المطلب الرابع**: التوسُّل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ..... ٣٢
**المطلب الخامس**: التوسُّل إلى الله ﷻ بنعمه وأفضاله ..... ٣٣
**المطلب السادس**: التوسُّل إلى الله ﷻ بالأعمال الصَّالحة ..... ٣٤
**المطلب السابع**: التوسُّل إلى الله ﷻ بإظهار ضعف الداعي وفقره وحاجته ٣٦

**المبحث الثالث: الآداب المتعلقة فيمن يشملهم الداعي بدعائه**

**المطلب الأول**: أن يقدم الدُّعاء لنفسه على الدُّعاء لغيره ..... ٣٨
**المطلب الثاني**: الاستغفار للوالدين والدُّعاء لهما ..... ٣٨
**المطلب الثالث**: الاستغفار للمؤمنين ..... ٣٩
**المطلب الرابع**: الدُّعاء للذريَّة ..... ٤٠

**المبحث الرابع: الآداب المتعلقة بذات المسألة**

**المطلب الأول**: التنويع في صيغة سؤال الحاجة بين صيغة الطلب وصيغة الخبر .. ٤١
**المطلب الثاني**: السؤال على قَدْرِ الحاجة ..... ٤٣
**المطلب الثالث**: أن يقرن سؤاله حاجته ببيان علة سؤالها ..... ٤٤
**المطلب الرابع**: الإخبار عن الحال، وسؤال الحاجة دون تسخط ..... ٤٥
**المطلب الخامس**: سلوك جانب الأدب مع الله، بعدم نسبة الشرِّ إليه سبحانه .. ٤٦
**المطلب السادس**: الجمع في الدُّعاء بين مصالح الدين والدنيا ..... ٤٧
**المطلب السابع**: الدعاء بما يوافق الشرع ..... ٤٨

**المبحث الخامس: الآداب المتعلقة بحال الداعي**

**المطلب الأول**: الخضوع والتذلُّل، وإظهار الضعف والمسكنة ..... ٤٩
**المطلب الثاني**: حضور القلب عند الدُّعاء ..... ٥٠
**المطلب الثالث**: التلفُّظ به باللسان، وعدم الاقتصار على الدُّعاء بالقلب ..... ٥٠
**المطلب الرابع**: خفض الصوت عند الدُّعاء والإسرار به ..... ٥١
**المطلب الخامس**: رفع البصر إلى السماء ..... ٥٣
**المطلب السادس**: رفع اليدين ..... ٥٤
**المطلب السابع**: الإلحاح بالدُّعاء، وتكرار سؤاله، وعدم السآمة والملل ..... ٥٤
**المطلب الثامن**: عدم استعجال الإجابة ..... ٥٦
**المطلب التاسع**: تحرِّي الأوقات الفاضلة، وتحرِّي أحوال الإجابة ..... ٥٧
**الخاتمة** ..... ٥٩
**فهرس المصادر والمراجع** ..... ٦٢
**فهرس الموضوعات** ..... ٦٧